

المهمنة الأسلوبية في شعر أبي الحسن علي بن صالح الجزائري (1906-1988م)

د. بن نافلة يوسف



جامعة الشلف/الجزائر

الملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية الحديث عن سطوة الأسلوبية في شعر أبي الحسن علي بن صالح الجزائري، وذلك من خلال جماليات الأساليب الفنية التي سأتبعها في ديوان الشاعر، وبعدها أفصل القول في مفهوم الأسلوب والأسلوبية، ثم مستويات التحليل الأسلوبي بدايةً بالتحليل الصوتي والذي يشمل الإيقاع والوزن، وتحديد البحور والأوزان، ونظام التقفية، وحرف الروي، والإيقاع الداخلي، والتكرار الكمي للأصوات، والتماثل الصوتي، وغيرها من الظواهر الصوتية المهمة على قصائد الشاعر، ثم التحليل الصرفي الذي سأنتبّع فيه الصيغ الصرفية ودلالاتها عند الشاعر، وكذا بعض المشتقات في قصائده، ثم البنية التركيبية في شعر أبي الحسن علي بن صالح، حيث سأحصى أهم أنواع الجمل التي وظّفها الشاعر في ديوانه كالجملة الخبرية، والمثبتة، والمنفية، والطلبية، وجملة الأمر، والنهي وغيرها، وفي الأخير أتناول البنيات الدلالية في شعر أبي الحسن مع ذكر أهم الحقول الدلالية في ديوانه.

الكلمات المفتاحية: سطوة / أسلوب / جمال / صور فنية / إيقاع / صيغ صرفية / تركيب / دلالة.

Résumé:

Le sujet de cette feuille de recherche concerne l'influence stylistique dans le poeme d' Abul Hasan Ali ben Saleh l' algérien, à travers l'esthétique des styles artistiques dans le divan du poète, puis je parle de la definition du style ;et de la stylistique ;puis les niveaux d'analyse stylistique commençant par l' analyse du son , qui comprend le rythme et la musique poetique ; et le symbole du rawie ,et le rythme de la procédure, quantitative et la répétition des sons, de la voix et de la symétrie, et d'autres phénomènes acoustiques dominantes sur les poèmes du poète ;puis l'analyse morphologique qui concerne les formules ;et les structures morphologique ;et ses semantiques chez le poète, ainsi que des dérivés dans ses poèmes, puis la structure syntaxique dans le poeme d' Abul Hasan Ali ben Saleh, où je parle des types de phrases qui sont employés par le poete tel que la phrase declarative ;et imperative ;et exclamative :et enfin j'aborde l'analyse semantique dans le texte poetique.

Mots-clés l'influence / style / beauté / images artistiques / rythme / formules morphologiques / syntaxe /semantique.

المقدمة:

مما لا مرأ فيه أنّ البنى الأسلوبية، والوظائف الجمالية، والتداولية في ميدان الشعرية قد شغلت بال كثير من جهابذة الدرس اللغوي والأدبي على السواء، ذلك أنّ هذه الجوانب الفنية والممتعة تزيد العمليات الإبداعية رونقا، وبهاء، وجمالا، ولعلّ من أبرز الجوانب الهامة اللافتة للانتباه في ميدان الأسلوب والأسلوبية ما يتعلق بالدواوين الشعرية، ولاسيما الأدب الجزائري .

و من أهم المدونات الشعرية الخاصة بالثورة الجزائرية (أو ما يُعرف بالأدب التحرري)و التي شدّت انتباهي تلك التي تتعلّق بما جادت به قريحة الشاعر أبي الحسن علي بن صالح فجمعه في ديوانه المطبوع تحت عنوان شعراء الجزائر .وتحاول دراستي هذه الإجابة عن الإشكالية الآتية:

-ماهي أهم المواصفات الفنية و الأسلوبية الموجودة في شعر أبي الحسن علي بن صالح؟

ماهي المكونات الأسلوبية المهيمنة في شعر أبي الحسن ؟-

- ما موضع جمالية الكلمة في مدونة الشاعر أبي الحسن ؟

الشاعر في سطور :

هو أبو الحسن علي بن صالح بن عمر بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن مرزوق من مواليد سنة 1324هـ الموافق لـ 1906م بمدينة القرارة ولاية غرداية، ترعرع في أحضان عائلة محافظة على عاداتها، وتقاليدها، ودينها تتلمذ على يد الشيخ محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي إلى أن أتم حفظ القرآن الكريم وهولا يتجاوز الثانية عشر من عمره .وفي سنة 1917م أخذ والده إلى تونس، ليلتحق بالبعثة الميزابية العلمية الأولى التي يرأسها الشيخ إبراهيم أبو اليقظان ، فكان تلميذا بمدرسة السلام ،فالخلدونية ،وطالبا بجامع الزيتونة غير أنه قاطع دراسته لظروف اجتماعية وعاد إلى بلاده سنة 1923م .فواظب على حلقات العلم ،والمذاكرة ، وأخذ بعض الدروس على يد الشيخ إبراهيم بن باكير حقّار

وفي سنة 1928م تأسست في بسكرة أول مدرسة عربية حرّة عصرية فكان بها مديرا ،ومعلّما ،ومنذ ذلك العهد وهو يعمل في حقل التعليم الحرّ.وفي سنة 1955م بعد اندلاع الثورة المباركة انخرط في صفّ النضال إلى الاستقلال سنة 1962م.

وبعد الاستقلال مباشرة عُيّن في الجزائر العاصمة أستاذا في التعليم الرسمي إلى سنة 1971م حيث أصبح أستاذا متقاعدا.

وافته المنية رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من محرّم 1409هـ الموافق للسادس من سبتمبر 1988م. بمنطقة غرداية ،ودُفن في مقبرة عمي سعيد بالولاية ،وقد ترك الشاعر ذريّة طيّبة صالحة تتكون من ستة ذكور ،وثلاث إناث.

من آثاره :

خلف الشاعر آثارا مختلفة منها ماهو مطبوع ،ومنها ماهو مخطوط وهي على النحو الآتي :

1- ديوان أبي الحسن علي بن صالح ،طبع بالمؤسسة الوطنية للكتاب سنة1984م ضمن سلسلة "الشعراء" يحتوي على تسع ومائتي صفحة (209ص).

2-ديوان (مـآسي وأين الآسي ؟) ،طُبع بالمؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1988م ،في ستّ وثلاثين ومائة صفحة (136ص) من الحجم الصغير (في شكل كُتَيْب)

3-ديوان (شاعر وثائر) تُوفي قبل أن يتمّ طبعه.

4-مجموعة كبيرة من القصائد المخطوطة ،ورسائل هامة ،ومذكراته الخاصة.¹

البنى الأسلوبية في شعر أبي الحسن علي بن صالح :

تشمل البنى الأسلوبية في ديوان الشاعر أبي الحسن علي بن صالح مستويات التحليل الآتية :

أولاً: التحليل الصوتي :

يعتبر الصوت وسيلة أساسية لمعرفة كيفية اشتغال اللغة فهو عند الجاحظ (آلة اللفظ ،والجواهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف)² ،وقد ربطه ابن جني باللغة وقد جعلها مكونة من أصوات حين قال : (اللغة أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم)³

ويعدّ التحليل الصوتي مستوى هاماً ،ودعامة أساسية من دعائم التحليل اللغوي عند الدارس الأسلوبية.

-الإيقاع والوزن: يعتبر الإيقاع من أهم عناصر الشعر حيث تنتظم فيه الأصوات وفقاً لأنساق إيقاعية مطّردة من القيم الزمانية وهو ما يميزه عن الكلام المنثور .

وقد استخدم الشاعر أبي الحسن علي بن صالح عدّة بحور شعرية في ديوانه من ذلك بحر الرجز في قوله:

ماذا أقول وقد بدا في قطرنا فخر الرجال وزينة الفقهاء⁴

0/0///0 //0///0//0 /0/ 0//0/0/0//0///0//0/0/

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

-و بحر الطويل في قوله :

ألا أيُّها النَّشْءُ الجديد عليك من فؤادي تحياتي كطالعة الفجر⁵

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن مفاعيلن .

-و بحر الكامل في قوله :

شَيِّدُوا بالعلوم مجدا عليّا مُشمخرا على مناط الثّريا⁶

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن .

-و بحر الوافر في قوله :

عقدنا لواء النّصر فوق جبالنا ومنها زحفنا للأعادي نُحاصر⁷.

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن .

-و بحر الخفيف كما في قوله:

شعري ولست أنادي شعر أوزان بل شعر ذكري وإحساس ووجدان⁸.

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن .

-و بحر السريع كما في قوله:

نيران ثورتنا الكبرى قد انفجرت في غرة من ربيع أنور بسم⁹.

مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن .

-و بحر الرّمل كما في قوله :

بدرالمعارف في المدارس أشرقا فأضاء المغارب نوره والمشرق¹⁰

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن .

- و بحر البسيط في قوله :

صاح حيّ العلم حيّ العلما حيّ أهل العصر حيّ القدماء¹¹

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن .

-نظام التقفية:

حرف الرّوي: وهو الحرف الذي تبني عليه القصيدة وتنسب إليه. من ذلك توظيفه لحرف اللّام في قصيدة (أهلا بعيدك يا محمد يا رسول الله)، والزّاء في قصيدة (إلى النّشئ الجديد)، والميم في (تعطيل النّور)، والباء في (يوم الانتخاب)، والنون في (الحبش والطلّيان)، والقاف في (جمعية العلماء)، والدّال في (دار الآثار بالقصبة)،

القافية: القافية هي آخر مقطع صوتي في القصيدة، يبنى على حرف هجائي معيّن يلتزمه الشاعر، فينشأ عن التزامه أو تكراره نغم موسيقي تأنس له الأذن، أو بتعريف آخر: القافية هي من آخر ساكن في البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن.

والحروف الواجب معرفتها ستة هي: التأسيس، والدّخيل، والزّدف، والرّوي، والوصل، والخروج .

والشاعر في ديوانه أورد قوافي متنوعة من ذلك مثلاً قوله: (العهودا)، و(وجدان)، و(تباب)، و(الفجر)، و(عقولا)، و(الثريا)، و(مناما)، و(الفيحاء)، و(مرعاك)، و(التقدما)، و(أجفاني).

-الإيقاع الداخلي: ويشمل ما يأتي:

التكرار الكمي للأصوات:

أ- الأصوات المهموسة: الصوت المهوس هو الصوت الذي لا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به، وتتألف من الأصوات الآتية: التاء، والثاء، الحاء، الخاء، السين، والشين، والصاد، الطاء، الفاء، القاف، الكاف، الهاء. وهذه حروف موجودة بكثرة في الديوان.

ب- أصوات الصّفير: اعتنى أبو الحسن بتكرار كثير من الأصوات الاحتكاكية التي تنتمي إلى مجموعة الأصوات الصّفيرية، إذ تبدو كثافة استخدامه بعض الأصوات الصّفيرية كالثناء، والسين، والشين، والصاد، والفاء سمة في شعره.

ج- صوت الهاء: كرّر الشاعر صوت (الهاء) وهو أيضا صوت مهموس في كثير من المواطن من الديوان .

- التماثل الصوتي :

أ- حرف اللّين : تكثر في شعر أبو الحسن المقاطع الصوتية الطويلة المؤلفة من صامت ،وصائت طويل ،سواء أكان الصائت الطويل ألفا أم ياء ،وهي ظاهرة واضحة في شعره، إذ تشيع في سائر فصائده.

ب- التماثل الصوتي والنداء :الظاهر أن موقف النداء من المواقف البارزة في شعر أبي الحسن .
ثانيا :التحليل الصّرفي: ويشمل الصيغ الصّرفية ودلالاتها في شعر أبي الحسن كصيغة (فعل) ،وصيغ المشتقات كاسم الفاعل ،واسم المفعول ،والصفة المشبهة وغيرها ،وجمع السالم بنوعيه.
كقول الشاعر :

قطان محمود الشيم ودليل حجاج الحرم

محمود يا رمز المنا سك،والحطيم وملتز

ثالثا :التحليل التركيبي :ترى الأسلوبية في دراسة التراكيب وسيلة أساسية لبحث الخصائص المميزة لمؤلف معين ،بل تعدّه أحد مستويات التحليل اللغوي للنصّ الأدبي ،ويتخذ الدارس الأسلوب في تحليله التركيبي جملة من المباحث تنطلق أساسا من النص ذاته ،فالمدخل الأسلوبى لفهم أي قصيدة هو لغتها.

ويكشف شعر أبي الحسن عن مجموعة من الظواهر التركيبية (البنيات التركيبية)منها:

-نظام الجملة :

أ-تركيب الجملة الاسمية :جاءت الجملة الاسمية في شعر أبي الحسن على أنماط متعددة إذ كثيرا ما انتقل المبتدأ والخبر من شكلهما البسيط إلى أشكال متنوعة من التنغير ومن ذلك أنه يفصل المبتدأ عن الخبر بجمل معترضة،أو جمل معطوفة ،أو مما يقع في باب الزيادة ،وقد يقدم الخبر على المبتدأ .من ذلك قوله:

وطني بالدماء نحمي الحدودا وبأرواحنا نصون العهودا.

فبأرواحنا نجود ،ولكن بتراب الأوطان لا ،لن نجودا¹²

ب-تركيب الجملة الفعلية:وظف الشاعر أنواعا مختلفة من الجملة الفعلية بما يناسب الدلالات التي يريد أن يعبر عنها من خلال المزوجة بين الأفعال الماضية أحيانا ،،والأفعال المضارعة أحيانا أخرى.لأن الفعل ركيزة أساسية من ركائز الجملة .كقوله:

عقدنا لواء النصر فوق جبالنا ومنها زحفنا للأعادي نحاصر

سلوا جبل الأوراس فوق صخوره تحطم جيش الغاصبين المناور.¹³

ج-أسلوب النفي :حيث يلجأ الشاعر إلى أسلوب النفي بوصفه أحد خيارات التركيب الذي يظهر في شعره ،ويسهم في تعقيد الجملة ويحولها من بسيطة إلى مركبة.وقد كثر استخدامه لأسلوب النفي فورد في مواضع كثيرة من شعره.كقوله:

لا عزف يطرب أبطال الكفاح سوى عزف المدافع في الأحراش ،والقمام¹⁴

وقوله :

لا الطنك لا الحلف لا الأسلاك شـ سائكة تقي فرنسا من الأهوال والنقم

ولا الأراجيف بالمذياح تنشرها ولا الدعايات في جهر ،ومكتمم

ولا العتاد ،ولا الأموال مجديّة ولا الملايين من جند ومن حشم

ولا خوون لأجل المال ساندها تبّا لسحت جنّى تبّا لمستلّم¹⁵

د-الجملة الخبرية :وهي كثيرة في شعره

هـ-الجملة المثبتة والمنفية:وقد وظفها الشاعر كثيرا في شعره.

و-الجملة الطلبية الإنشائية (جملة الأمر،والنهي ،والجملة الاستفهامية ،وجملة النداء)

رابعاً: التحليل الدلالي: في شعره: يمكن التدقيق في شعر أبي الحسن بالاعتماد على مبدأ الحقول الدلالية التي تنسجم مع الأسلوبية في نظرتها إلى الدلالة، والحقول الدلالية هو (مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع تحت لفظ عام يجمعها)¹⁶

ومن أهم الحقول الدلالية التي عثرتُ عليها في ديوانه :

1- حقول ألفاظ الفرحة: وذلك مثل فرح، زينة، قلب خفاق، السرور، جمال، يافرحته، بهجة الأدباء،...

2- حقول ألفاظ المأساة الأندلسية: خاف، الدمع، اللهو، والهوى، سقط التاج، البكاء مثل النساء، ملكا مضاعا، واندب، قميص حداد، النحيب، باكيا شاكيا، صروف الليالي، الملاهي، بحر المناهي،...

3- حقول ألفاظ الفداء من أجل حياة الجزائر: وذلك في قوله (على حذر، يقاوم دهري عصيب، تمطره الدموع، تثبيط الغزائم، رهن المقابر، نضحي، العوالي، الأموال، المهج الغوالي، نبذل، مرتخص، وغالي، تحرير الجزائر، بعث نفسي، استعمار رجب، أموت، البكا، العويلا، العز، العزم، تحيا الجزائر، شهامة، البطل، المغامر، بنت الفدا، بنت الجزائر تضحية، حرية الضمائر، الرزايا، جرأة، بحر المنايا الرزايا، الشظايا، تحرق، ذروة الجبل، جواسيس العدو، الثوار، العزيمة، التحدي، المستبد، نسف الغاصبين، جائر، ساح الوغى، روحك الفدا، رمسي..

4- حقول ألفاظ الثورة: (الله اكبر، فتح، نصر الله، وطن مستعمرون، سياسة الغاب، الشراسة، الطغيان، الغنم، الغاصب، المحتل، الوحش، احتلال، فرنسا، فساد، طغيان، المستضعفين، الاختطاف،

القمع، حرائق، الفتك، ضحايا، دمار، حرق، الأحرار، السجون، التنكيل، بطش، الكلايب، الأصفاد، زبانية التعذيب، مفترس، ملتهم، الضلال، الاضطهاد، نيران، نوفمبر، أفاعي، الطغاة، قمع، البغاة، المدافع،

الجهاد، بطولة.... الخ

5- حقول ألفاظ الاستقلال: (عرين، الأسد، أرض الجزائر، الحياة، شهيد، عيد، الانتصار، السلام، حمانا،

عزّ، مجد، رفاهية، المجد، الشرف، سند..)

وإلى جانب الحقول الدلالية الواردة في شعر أبي الحسن نجد الصور الشعرية، والتشابه
الكثيرة، والاستعارات، والمجازات، والرمز، والكنيات....

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة العلمية توصلت إلى جملة من النتائج أجملها فيما يأتي:

1- أن الشاعر أبا الحسن علي بن صالح كان شاعرا وطنيا بامتياز، ويستحق أن يُلقب بشاعر
الجزائر الثاني بعد محمد العيد آل خليفة، إذ صوت الجزائر كان دائما حاضرا في شعره، وصورتها
ظلت أبدا عالقة في تفكيره.

2- السمات اللغوية في شعره اتّسمت بالجلال والوضوح، والرونق، والبهاء، ولاسيما مايتعلّق
بالصورة الفنية لديه.

3- أما في المجال الخصائص الصوتية للغة، فقد كانت ذات طابع موسيقي متميّز، ويرجع ذلك
إلى كثرة استعماله لأهم الظواهر الصوتية كالإيقاع، والوزن، والتكرار الكمي للأصوات ...

4- أن التحليل الصرفي المرفولوجي يتّسم بجملة من المسائل الواردة في شعره كالدلالات
الإيحائية في الصيغ الإفرادية، والمشتقات، والمصادر، والجمع، والتذكير والانيث، والتثنية
، وغيرها

5- توظيفه لأبواب كثيرة من مستوى التحليل التركيبي كنظام الجملة بأقسامها الاسمية، والفعلية
، والظرفية، والشرطية، الطلبية، والمثبتة، والمنفية، وغيرها

6- الحقول الدلالية الواسعة النطاق في شعره كحقول ألفاظ الثورة ضد الاستبداد الفرنسي، وألفاظ
المأساة الأندلسية، وألفاظ الفداء من أجل الجزائر، وألفاظ الفرحة، والبهجة، وألفاظ الفداء
، والمقاومة من أجل استقلال الجزائر، إلى جانب الصورة الشعرية الجميلة، والصور البيانية
الممتعة .

¹- ينظر معجم أعلام الإباضية من القرن الأول إلى القرن الخامس عشر، 613/2

²- البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 79/1.

³- الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، 34/1.

⁴- ينظر الديوان، قصيدة (وافرحته ببهجة الأدباء)، ص9.

⁵- ينظر الديوان، قصيدة (إلى النشئ الجديد) ص11.

⁶- الديوان، قصيدة (لا حياة لمن غدا منزويا) ص19.

⁷- الديوان، قصيدة (معقل الجبال، ومواقع النزال) ص115.

⁸- الديوان، قصيدة (ذكرى ورجاء) ص87.

⁹- الديوان، قصيدة (السلاح والكفاح) ص121.

¹⁰- الديوان، قصيدة (بدر المعارف) ص127.

¹¹- ينظر الديوان، قصيدة (تدشين مدرسة بني يسجن بوادي ميزاب)

¹²- ينظر ديوان الشاعر، قصيدة (إن الأسود تحمي الحدود) ص129.

¹³- الديوان، قصيدة (معقل الجبال، ومواقع النزال) ص115.

¹⁴- الديوان، قصيدة (انتصرنا) ص122.

¹⁵- الديوان، قصيدة (الله أكبر) ص122.

¹⁶- علم الدلالة، د/أحمد مختار عمر، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، القاهرة، 1992، ص79.